

الفكر التخطيطي وأثره في تصميم البيت التقليدي في المدينة العربية الإسلامية

د. ماجد مطر عبد الكريم الخطيب
قسم الجغرافية/كلية المأمون الجامعة

المستخلص:

تعد العمارة ، نشاطا انسانيا وحضاريا ، يعكس طبيعة الفكر التخطيطي وتطوره في كل مرحلة من مراحل الزمن . ذلك ان النسيج الحضري ، وتصميم فضاءات المساكن ، هي نتاج حضاري لذلك الفكر ، وانعكاس للقيم السائدة ، واستجابة لحاجات الانسان المادية والروحية ، وهو بذلك يؤثر على الموقع والحجم والشكل ، وعلى نمط العلاقة بين الكتلة والفضاء . لقد كان واضحا اثر الفكر التخطيطي على تركيب النسيج الحضري للمدينة العربية الاسلامية ، ولنمط وطبيعة النسيج السكني الذي يعد الشريحة الاساس في النظام الحضري . لذلك حاولت الدراسة متابعة ذلك الاثر في تصميم البيت التقليدي في المدينة العربية الاسلامية ، ورصد مراحل التطور فيه ، ونوع الانماط السكنية التي حكمها الفكر التخطيطي في كل مرحلة .

Planning Ideology and its Effect on Designing that Traditional House in the Islamic Arab City

Dr.Majid AL-Khateeb

Abstract:

Architecture is considered as a human and urban activity, which reflects the nature of planning ideology as well as its development within the passage of time. The urban texture and the design of house spaces are the outcome of that ideology, reflective dominant values and come in response of mans physical and spiritual needs

Thus, the planning ideology affects the location, size, and shape of the housel as the relationship between bulk and space.

The effect of the planning ideology was quite obvious on the urban texture of the Islamic Arab city. It also affected the type and nature of residential texture which is considered as the base of urbanism.

The present study attempts to trace the effect of planning ideology on designing the traditional house in the Islamic Arab city. It also traces the stages of development and dominant types of housing.

اعتمد الفكر التخطيطي للمدينة التقليدية على مفهومين اساسيين هما : الخصوصية ، والحماية والأمان، وانعكس ذلك على خصائص الهيكل الحضري ، ونسيجه العمراني الذي تميز بمقاسه العام ووحداته ذات الاستمرارية والتجانس ، والنمط العضوي المتراس ، فضلا عن خاصية الانفتاح على الداخل (in word looking) واستجابتها العقلانية لمتطلبات المجتمع العربي الإسلامي ، من الناحية العمرانية والاجتماعية ومتطلبات البيئة المناخية ، وهي بهذا الشكل إنما تعبر عن الارتباط بين الجانبين الديني والديني (الروحي والمادي) . ولما كان البيت او الوحدة السكنية هو النتاج الحضاري لذلك الفكر وهو الخلية الأساسية في النظام الحضري ، فلا بد أن ينسجم في خصائصه وتصميم فضائه من الناحية الوظيفية والاجتماعية والبيئية مع طبيعة وخصائص المحيط البيئي والاجتماعي في المدينة العربية الإسلامية. ان هذا البحث المتواضع ، يتناول هذه الخصوصية ، ويقلب بعض جوانب وسمات الفكر التخطيطي العربي الاسلامي في تناوله للبيت التقليدي .

مشكلة البحث

بالرغم مما أسهمت به دراسات الباحثين حول البيئة الحضرية ، في إغناء النظرة إلى النسيج الحضري والعوامل المختلفة المؤثرة فيه ، إلا أنها أوجدت اختلافا في الفكر بسبب جزئية النظر إلى النسيج الحضري والاختلاف في ترجيح عامل دون آخر من العوامل التي تؤدي الى تغيرات في مكوناته ، وخاصة نمط البيت التقليدي في المدينة العربية الإسلامية ، مما دفع الى ان ينظر البحث الى شمولية العوامل التي تحكم خصائص الوحدة السكنية وعلاقتها بالفكر التخطيطي .

هدف البحث

يهدف البحث إلى ما يأتي

- ١ . محاولة التعرف على مفهوم النسيج الحضري والقوى التي أثرت في تكوين المستقرات الحضرية من حيث الموقع والحجم والشكل .
- ٢ . تحديد خصائص ومكونات النسيج التقليدي في المدينة العربية الإسلامية وتأثير الفكر التخطيطي العربي الإسلامي على تصميم فضاءات واستعمالات الأرض فيه، وخاصة الاستعمال السكني.
- ٣ . بيان أهمية المنطقة السكنية ضمن النسيج الحضري من بين استعمالات الأرض الحضرية كونها الشريحة الأساس التي تحتل الجزء الأكبر من مساحة المدينة .

٤ . تحديد ماهية العوامل التي أثرت في شكل ونمط الوحدة السكنية في المدينة العربية الإسلامية وتأكيد العلاقة التصميمية بين خصائص وتكوين الفضاءات القائمة و بين العوامل المناخية والاجتماعية والدينية .

الحدود المكانية والزمانية للبحث

- ١ . ان الحدود المكانية للبحث هي المدينة التقليدية العربية الاسلامية ، وانماط المساكن في نسيجها الحضري ، كما في مدن تونس والرباط والقاهره والكاظمية والنجف .
- ٢ . ركزت الدراسة على المركز التاريخي القديم لمدينة النجف كحالة تطبيقية لرصد مراحل تطور نمط البيت التقليدي منذ نشأة العمران في المدينة حتى وقتنا الراهن .

الفصل الاول

النسيج الحضري .. والقوى التي اثرت في تكوين المستقرات الحضرية .

١-١ مفهوم النسيج الحضري

يتكون النسيج الحضري بتفاعل عدد من المنظومات الاقتصادية والعمرانية والاجتماعية مع بعضها لتكوين بنية مترابطة ذات خصوصية واضحة المعالم . وتوصف المستقرات الحضرية بكونها نظام معقد (complex system) ، تحكمه مجموعة من العلاقات المتبادلة والمتداخلة استجابة لحاجات ورغبات متعددة . وفي تشكيل أي مستقر حضري ، تشترك خمسة عناصر رئيسة ، هي :- الطبيعة ، الإنسان ، المجتمع ، المأوى ، الشبكات . وما عدا المأوى والشبكات التي تمثل البنى العمرانية للمستقر الحضري ، فان عناصر :- الطبيعة والإنسان والمجتمع ، تمثل كلما يتمخض عن تفاعلها ونتائجها من أنشطة اقتصادية وقيم حضارية واجتماعية وثقافية والتي تسهم بشكل جماعي في تشكيل المستقر الحضري على مرور الزمن . أما مظهر النسيج الحضري الذي يمثله المأوى والشبكات فانه يتكون مما يأتي^(١) :-

أ- مخطط المستقر الحضري الذي يشتمل على :-

- ١ . نظام الشوارع .
- ٢ . نمط قطع الأراضي .
- ٣ . نمط الأبنية .

^١ حامد تركي هيكل ، تغير النسيج الحضري لمدينة البصرة ، رسالة ماجستير مقدمة الى المعهد العالي للتخطيط الحضري والإقليمي ، جامعة بغداد ١٩٩٧ ، ص ١ .

ب-العمارة

ج-استعمالات الأرض الحضرية ، والتي تشتمل على :-

١-مناطق العمل .

٢-مناطق المعيشة .

٣-مناطق الراحة .

وقد يتبلور مظهر المستقر الحضري بين مرحلة واخرى من خلال ظهور نماذج وأشكال مادية مميزة في خصائصها العمرانية ، تنسجم وتستجيب كل منها لحاجات المجتمع في كل مرحلة ، ويفيد هذا التمايز في تحديد المراحل المورفولوجية التي مر بها النسيج الحضري اثناء تغيره عبر الزمن .

فالعوامل البيئية والاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية والتشريعات والعوامل التقنية والوظيفية والجمالية ، اثرت وعبر مختلف الازمان في الموقع والحجم والشكل كما اثرت على نمط العلاقة بين عناصر ومكونات النسيج الحضري كالعلاقة بين الكتلة والفضاء ، اذ يمثل النسيج المتكون من الكتلة (mass) والفضاء غير المفتوح (open space) الابعاد المادية والمعنوية للانسان ، حيث كانت سلطة الحاكم الدينية والدينيوية في مدن وادي الرافدين تنعكس في تركيب النسيج الحضري ، فقد مثلت القصور والمباني العامة والمعابد^(١) ، المظهر الرئيس في المدينة والمركز الذي تتفرع منه الطرق العامة ، فضلا عن ان خصائص الوحدات السكنية كانت تعبر عن الواقع الاجتماعي للسكان وتركيبه الطبقي ، فقد اتصفت مساكن الاغنياء بسعة مساحتها وتعدد غرفها وخدماتها ووقوعها على امتداد الطرق الرئيسية بينما كانت مساكن الفقراء تتصف بصغر مساحتها ومحدودية خدماتها ومرافقها ، تقطعها شبكة من الطرق والازقة الضيقة الملتوية ، وغالبا ما تقع خلف نطاق الوحدات السكنية الجيدة .

وفي مدن وادي النيل ارتبطت فضاءات النسيج الحضري بافكار العالم الآخر (حياة ما بعد الموت) ، وبالأمور والظواهر الكونية ، وكانت انعكاسا لطبيعة الديانة التي تؤكد على مفهوم الحياة ما بعد الموت وتقديس الظواهر الطبيعية الأخرى كالشمس والقمر والنجوم . وفي المدن الاغريقية كان الموقع المركزي الذي تتمحور حوله الفعاليات والاستعمالات المختلفة للمدينة هو الميدان ، او السوق الرئيس المسمى (الاكورا)* الذي يحتل موقعا مهما وسط المدينة وهو أوسع فضاء فيها ، وشكله

١ . ماجد مطر عبد الكريم ، العوامل المؤثرة في تغيير النسيج الحضري في المدينة العربية الاسلامية ، اطروحة دكتوراه مقدمة الى المعهد العالي للتخطيط الحضري والاقليمي ، جامعة بغداد ، ١٩٩٩ ، ص٣١ .

* الاكورا :- هو الفضاء الرئيس المفتوح في وسط المدن الاغريقية الذي يقصده السكان لاجياء مناسباتهم واقامة احتفالاتهم فيه

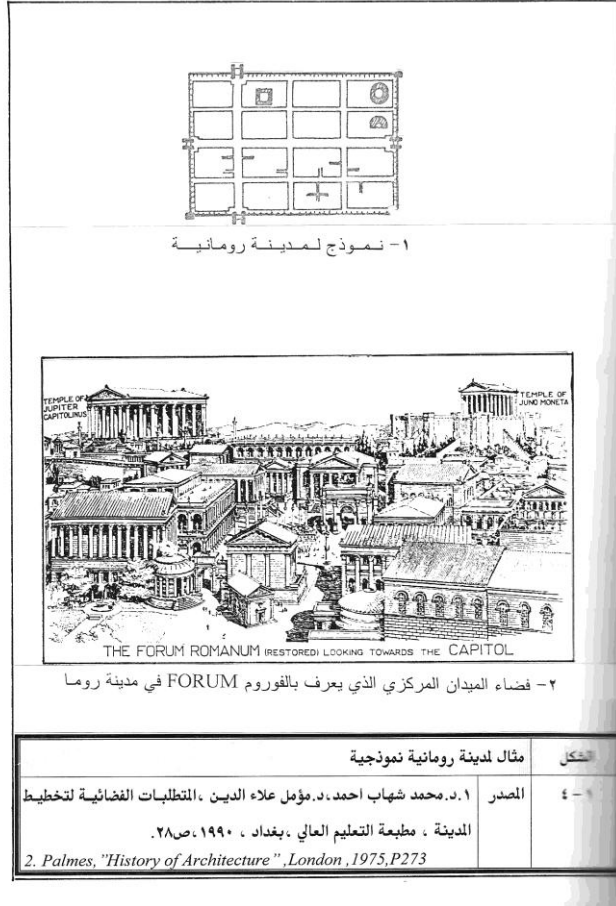
غالبا ما يكون مربعا او مستطيلا . إن هذا الميدان هو المكان الرئيس الذي يقصده السكان ويقيمون فيه المناسبات التي يهتمون ويحتفلون بها . وكانت المنطقة التجارية المركزية والمعابد والمباني العامة ذات الاشكال الهندسية (geometric form) تتفرع حول ذلك الميدان^(١).

فضلا عن انتشار النصب والتمثيل في المواقع المهمة من المدينة، كما عبرت التقسيمات المتساوية للتكوينات الحضرية للمدن الاغريقية عن توافرها وانسجامها مع الأفكار الديمقراطية في الحكم ومبدأ المساواة .

وفي المدن الرومانية تميز النسيج الحضري ، بوجود السور وبأهميته العسكرية والدفاعية ، والذي كان متأثرا بنسيج المدن الاغريقية فضلا عن وجود شارعين رئيسيين يقطعان المدينة ، احدهما يتجه من الشرق إلى الغرب والثاني من الشمال إلى الجنوب مع وجود شوارع ثانوية أخرى . ويتقاطع هذان الشارعان عند فضاء الميدان المركزي او (الساحة العامة) وهو كذلك ذات شكل رباعي ، ويحتل مركزا مهما في المدينة يعرف بـ (الفوروم) (Forum) (شكل ١)، وتتواجد بالقرب منه الأسواق التجارية والمناطق السكنية اما مدن العصور الوسطى ، فقد كانت الأسوار والقلاع الضخمة المحيطة بالمدينة ، من ابرز مظاهر نسيجها الحضري بسبب الحاجة الى الأمن وحماية السكان والمدن من هجمات الأعداء .

وفي مدن عصر النهضة ، طغت على مكونات النسيج الحضري ، اثار المبدعين في مجال الفن والعمارة، وغلب الطابع الجمالي عليها ، من امثال ليوناردو دايفينشي ، بيكاسو ، وبراك ، وسيزان ، ومايكل انجلو . لقد كان قصر الملك في هذه المدن يطل على مساحة واسعة ينتهي عندها الشارع الرئيسي في المدينة ، فضلا عن النمط الشعاعي والنظام الهندسي الذي كان يحكم الشوارع والطرق ويحدد التقاطع والتقابل والانفتاح . كما اشتمل النسيج الحضري على المناطق الخضراء ، التي حظيت بالاهتمام ، خاصة تصميم الحدائق العامة ، وحدائق المناطق السكنية ، فضلا عما عكسته ترابطات النسيج الحضري ، ونمط العلاقة بين الكتلة والفضاء الخارجي المفتوح (exterior space) ، كالأزقة والطرق والشوارع والساحات العامة والخاصة.

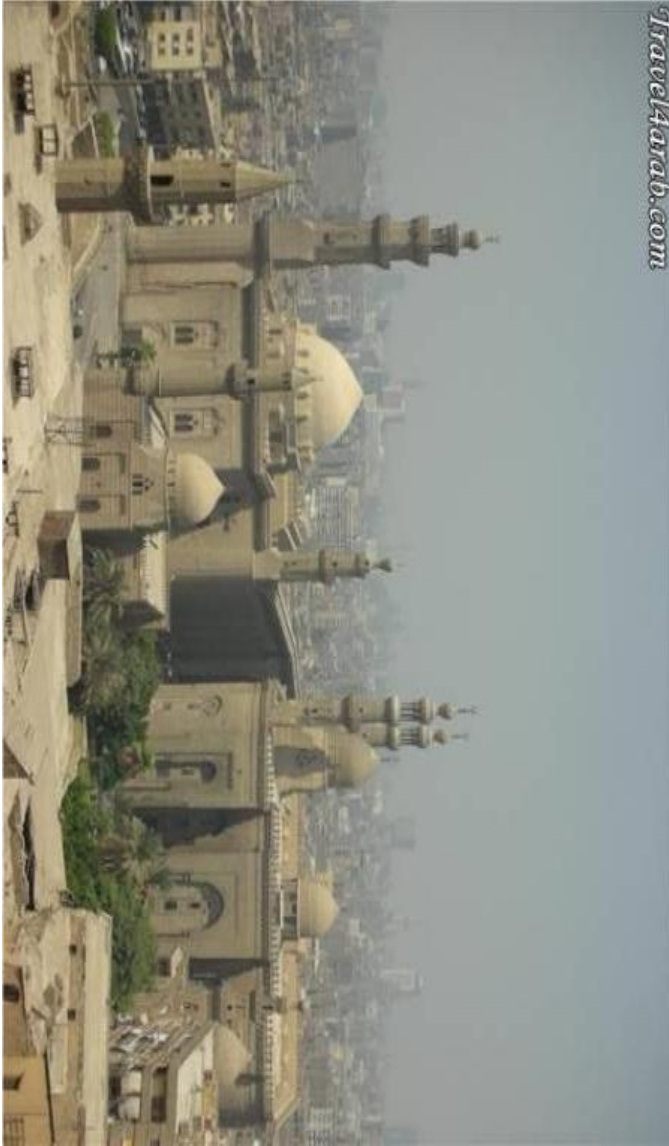
^١ GALLIOM , A.B, EISNER , "The urpar pattern (4th.ed) Goyal press Delhi (Ikddia) 1984,p.22



- ١-١-١ خصائص ومكونات النسيج الحضري في المدينة العربية الاسلامية
يتسم الهيكل الحضري (urban structure) في المدينة العربية الاسلامية
بالخصائص الاتية :
١. نسيجه العضوي المتضام (المتراص) ، حيث تظهر المدينة كبنية متلاحمة الاجزاء ، مكونة من مجاميع عمرانية متراصة ، وذات واجهات مستمرة ، غير منقطعة .
 ٢. تكامله ، وتماسكه ، ووحدته ، وخاصة الانفتاح نحو الداخل (inward looking) .

٣. وجود شبكة من الازقة المتعرجة ، الملتوية ، افرزتها متطلبات المناخ السائد ذي الطبيعة المناخية الحادة ، تربط المجاميع العمرانية بعضها مع البعض الآخر.
٤. تتسم الأبنية السكنية بخاصية الانغلاق نحو الخارج ، وبساطة معالجاتها الخارجيية وتشابه مواد البناء المستعملة فيها .
٥. تأكيده على مبادئ الخصوصية والشرفية وقدرسية البيت ، مما يفسر ارتفاع نوافذ المساكن عن مرأى العين للمارة .
٦. يحتل الجامع الموقع المركزي في المدينة العربية الاسلامية كونه يمثل المركز الروحي والثقافي ودار العدالة وهو بمنارته المرتفعة ، يعد اعلى بعد في خط سماء المدينة اذ لا تعلوها أية بناية أخرى^(١).
- ولذلك نجد في المدن العربية الإسلامية المسجد او الجامع يمثل أهم المعالم الرئيسية في المدينة(شكل ٢) فالمسجد هو مركز النشاط الحضري بأكمله ، وحوله تقام الأسواق المهمة وفي داخله يتم اللقاء بين المسلمين ، وتقام حلقات الدرس وكانت المأذنة رمزا لهذه المدن مثلما كانت أبراج الكنائس والقلاع رمزا لمدن العصور الوسطى والأوربية، أما المساكن فكانت تتكدس بالقرب من المسجد وبشكل متراس تكاد لا تترك فيما بينها الا زقة ضيقة متعرجة ، روعي فيها توفر اكبر قدر من الظل في بيئة حارة .
- مثل هذا النسيج ، انعكاسا للروابط البيئية والاجتماعية والروحية ، والعلاقات الطبيعية ضمن المجتمع الاسلامي .

^١ ماجد مطر عبد الكريم العوامل المؤثرة في تغيير النسيج الحضري للمدينة رسالة دكتوراه مقدمة الى المعهد العالي للتخطيط الحضري والاقليمي - جامعة بغداد ١٩٩٩ ص ٣٣



الشكل/المساجد،العنصر المهيمن في النسيج الحضري

٢- /المصدر / المجلة المعمارية العربية ، كلية الهندسه المعمارية ، جامعة بيروت العربية ، ١٩٨٨، ص٤

٢-١ الوحدات السكنية في النظام الحضري للمدينة العربية الاسلامية

تمثل المناطق السكنية الشريحة الاساسية في النظام الحضري . ذلك انها تحتل الجزء الاكبر من مساحة المدينة ، مكونة البيئة التي يقضي فيها السكان اطول فترة زمنية من حياتهم ، فضلا عن كونها الجزء الرئيس من النسيج الحضري^(١) . ومع زيادة الاهتمام بالتنمية الاجتماعية ، أصبح نمط تخطيط المناطق السكنية في تطور مستمر ولم تعد المناطق السكنية القديمة المزدهمة تفي بالمتطلبات الحديثة للسكان ، فتطورت وتغيرت المباني السكنية كثيرا في المراحل القريبة الماضية بحيث أصبح من الممكن إنشاء مباني أكثر ارتفاعا ، ومختلفة من حيث شكلها وبنائها واسهم تطور النقل والمروور في سهولة قطع المسافات بوقت اقصر مما خفف من كثافة المناطق السكنية داخل المدينة ، وتعويض السكن بالخارج الى الضواحي وامتد بالمدن نحو الخارج^(٢) .

وقد اعتبرت الوحدة السكنية إحدى أهم المتغيرات التي يمكن اعتمادها في تمييز المراحل المورفولوجية في مختلف مدن العالم ، والتي تعكس أيضا متغيرات مادة البناء، وطرق البناء ، فكل مرحلة مورفولوجية ، طراز عمارة بيوتها ، ونماذجها التخطيطية^(٣) .

٣-١-١ العوامل المؤثرة في شكل دار السكن

تتكون دار السكن من عنصرين أساسيين هما قطعة الأرض وكتلة البناء وينشأ عن التغير النوعي او الكلي لكل منهما او كليهما تغيرات عديدة^(١) .
تؤثر في شكل وأنماط ومتطلبات المسكن مجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتقنية والديموغرافية والبيئية ، التي يمكن إيجازها بالاتي :-
١ . ان الوضع الاجتماعي للأسرة ، ونمط حياتها اليومي وطريقة استعمالها للمساكن ، تنعكس على تصميم المسكن من حيث السعة وعدد الغرف واختصاصاتها الوظيفية ومرافقها الخدمية .
٢ . ان حجم العائلة وتركيبها العمري والجنسي وموقعها ضمن حياتها يسهم في عدد وحجم الفضاءات السكنية .
تسهم العادات والتقاليد وقيم خصوصية الفرد والعائلة في تقرير كيفية تجمع الفضاءات السكنية والعلاقة بين الداخل والخارج .

١ . مظفر علي الجابري ، التخطيط الحضري ، الجزء الاول ، مدخل عام ، مطابع جامعة الموصل ، ١٩٨٩ ، ص ٢٠١ .

٢ . مظفر علي الجابري ، مصدر سابق ، ص ٢٠١ .

٣ . د. خالص حسني الاشعب ود. صباح محمود محمد (مورفولوجية المدينة) ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ١٣٦ .

٣. ان حجم الدخل الفردي او دخل العائلة ، يؤثر على تقرير مساحة وحجوم اعداد الفضاءات السكنية ، ونوع تقنية البناء المستخدم
٤. ان تقنيات البناء والتركيبات الفنية المتاحة ، هي الاخرى تؤثر في حجم ومساحات الفضاءات السكنية وكيفية تجميعها .
٥. ان متطلبات سكن العائلة ، والفعاليات التي تقوم بها ضمن مسكنها والعلاقة الوظيفية بين هذه الفعاليات ، تسهم في تقرير الكيفية التي تتجمع بها مواقع هذه الفعاليات ضمن الوحدة السكنية .
٦. ان عوامل الموضع والموقع ، تسهم في الاخرى في تقرير حجم وكيفية تجميع الفضاء ونوع تقنيات البناء .
٧. ان العوامل والقيم الجمالية والإشكال والرموز والألوان والسطوح ، فضلا عن ذوق العائلة والمجتمع وخصوصيتها تسهم في تقرير المتغيرات العمرانية للوحدة السكنية .
٨. فضلا عن ذلك فان الأعراف السائدة والتشريعات النافذة ، كثيرا ما تتدخل في تقرير المتغيرات العمرانية للمسكن .

١-٤ العوامل المناخية المؤثرة في شكل دار السكن

حكمت الظروف المناخية شكل وتصميم البيت العربي الاسلامي ، كما حكمت قبله انماط السكن في الحضارات التي عاشت في نفس المنطقة من العالم . فعند النظر الى مواد البناء المستخدمة في النسيج السكني في الحضارة السومرية نجدها تتكون من الطابوق المصنوع من الطين المجفف تحت اشعة الشمس او المفخور بالنار . فضلا عن خلو البيت السومري من الشبائيك الارضية واقتصاره على شبائيك علوية صغيرة والتي غالبا ما تغطي بحصيرة من الخشب لغرض التقليل من حرارة الشمس . اما الغرف فكانت تبنى بحيث تكون مطلة على فناء الدار (الباحة او الحوش) والذي يكون مفتوحا نحو السماء^(١) . ونستطيع مشاهدة بقايا هذا النمط السكني في العديد من الاحياء القديمة في المدن العربية الاسلامية كما في تونس والمغرب .

اهتم الفكر التخطيطي بتأثيرات المناخ على نمط المساكن وفضاءاتها المختلفة بحيث تمكنت الانماط التي شهدتها المدن العربية الاسلامية من التفاعل والتكيف مع مختلف الظروف المناخية وخاصة اقليم المناخ الحار الجاف ، واثبت قدرته في تحديد الاسس والابعاد المعمارية الناجحة لمواجهة الظروف المناخية القاسية ، وتحقيق فضاءات توفر للسكان كثيرا من متطلبات الحياة اليومية ، وهذا ما جسده الاهتمام بفتحات التهوية والنوافذ ومواد البناء ، فضلا عن المدخل المنكسر في

^١ د. خليل حماش ، كتاب اللغة الانكليزية للصف الثالث المتوسط ، وزارة التربية ، طبعة ٢٣ بغداد ، ٢٠٠٧ ص ٥١ .

المسكن العربي الاسلامي الذي يقع على محور متعامد مع فناء الدار المكشوف ، والذي يمنع تعرض فضاءات المسكن الى تيارات هوائية مباشرة ، والى ما تحملة من غبار او اتربة ، كما تقلل من ضوضاء الازقه المتعرجة والتي بدورها ايضا تحقق حركة ريح هادئه بسبب انعطافاتها .

ان الوظيفة الاساسية للنسيج السكني وفق الفكر التخطيطي تتمثل بالاتي :-

١ . ان تكون المساكن محمية من الظروف الجوية القاسية بما توفره من بيئة مناخية داخلية مريحة وامينة للانسان .

٢ . مقاومة التغيرات الجوية الشديدة خلال مراحل الاستعمال السكني وأحكام الصلة بين تقلبات الظروف المناخية وتصميم الفضاءات الداخلية للنسيج السكني .

وبسبب وقوع العالم العربي الاسلامي تحت تأثير المناخ الجاف وشبه الجاف والصحراوي، ومناخ البحر المتوسط ، فضلا عن وقوع المدن العربية الاسلامية في مناطق تتميز باختلاف نوع المناخ وعناصره المتمثلة بالحرارة وضغط الرياح وتساقط الامطار ، فقد انعكس ذلك على نمط البناء وشكل وهندسة الفضاءات الداخلية للبيت التقليدي ونوع مواد البناء الداخلة في انشائها . ويمكن تحديد بعض انواع المناخات بحسب مناطقها ، لكي يتبين لنا علاقتها وتأثيرها على نمط وتصميم

البيت التقليدي والمواد البنائية المستخدمة فيه وكما يأتي :-

أ . المنطقة الحارة الجافة :- يتمثل في مسكن بسيط مصنوع من الطابوق الذي يوصف بكونه عازل جيد للحرارة ، وله نوافذ صغيرة لتقليل دخول الغبار ، وجدرانه بيضاء اللون تعكس اشعة الشمس الشديدة . اما شوارع المدينه وازقتها فغالبا ما تكون ضيقة لغرض توفير الضل لمداخل المساكن والجدران^(١) وهذا ما يمكن مشاهدته في الاحياء والازقه القديمة في مراكز المدن العربية الاسلامية القديمة كما في تونس والقاهرة والنجف والكاظمية

ب . المنطقة الصحراوية الجافة الحارة :- وهي احر المناطق على سطح الارض يتكون المسكن فيها من خيمة من الصوف او الشعر يفتح احد اطرافها ، سهلة الحمل والتنقل ، تناسب الظروف الجوية وظروف معيشة السكان في هذه المناطق لمختلف فصول السنة^(٢) .

ج- منطقة مناخ البحر المتوسط :- تعد من افضل المناطق الملائمة لسكن الانسان . تتصف مساكن هذه المنطقة بجدار سميك يقي البيت الاشعة

^١ فاضل الحسني ، مهدي الصحاف ، اساسيات علم المناخ التطبيقي ، جامعة بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ١٩٥

^٢ محمد علي مكي ، اطلس العالم الصحيح ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ١٣ .

الشمس الحارة خلال الصيف ، فضلا عن وجود فسحة في داخله او حديقة مفتوحة داخل المسكن تسمح بدخول اشعة الشمس الى معظم اجزائه اثناء الشتاء وتؤمن صيفا رطبا^(١) .

الفصل الثاني

٢-٢ الخصائص العمرانية للبيت التقليدي

ترتبط فضاءات البيت التقليدي وخصائصه العمرانية بمتطلبات الواقع الاجتماعي والديني والبيئي في المدينة العربية الاسلامية ، وكان البيت التقليدي منذ نشاته الاولى ، انعكاسا لقيم المجتمع العربي الاسلامي وخصوصيته الدينية ، والخصوصية الانعلاقيه العاليه ، وتجاوبه مع الظروف البيئية السائدة ، وتوافق خصائصه وتفاعلها مع واقع المجتمع واهدافه الانسانيه . ذلك ان فضاءاته كانت توفر الكثير من متطلبات الحياة اليومية السائدة في المدينة العربيه الاسلاميه . اما مواد البناء المتاحة المستخدمة في بناء المساكن ، فهي الجص والحجارة ، وسقفها كانت تبنى من خشب الاشجار وجذوع النخيل ومن القصب^(٢) . ويمكن تحديد اهم الفضاءات خصائصها في البيت التقليدي على الوجه الاتي:-

١-٢-٢ الفناء الداخلي

ارتكز نمط الوحدة السكنية على فكرة الفناء الداخلي ، الذي تتمحور حوله معظم الفعاليات ، ويمثل هذا الفناء الانفتاح نحو السماء ، والتمتع المطلق بها ، ويعكس أهمية التوجه الى الداخل لتأكيد مفهوم الخصوصية (privacy) والتفاعل مع الظروف المناخية وتحقيق مبدأ الحماية والأمان^(٣) . يمثل الفناء الوسطي او كما يسمى (الحوش) او (الصحن) او (الباحة) ، المساحة الانفتاحية التي يمتلكها هذا الفناء المكشوف ، فضلا عن توفير الراحة النفسية لساكني المنزل ، كونه المتنفس الوحيد لهم^(٤) . وذلك انه عن طريق الفضاء الداخلي المكشوف ، ومن خلال فتحات المدخل ، يتحرك الهواء في الفناء والمرافق الاخرى ليوفر تيارا من الهواء البارد المنعش للساكين . ان هذا الفضاء الذي

^١ فاضل الحسني ، مصدر سابق ، ص ١٩٥ .

^٢ موسوعة الشيخ علي الشرقي (الاحلام) القسم الرابع ، مطبعة العمال المركزية ، بغداد ١٩٩١ ، ص ٩٥ - ٩٦ .

^٣ ماجد مطر عبد الكريم ، مصدر سابق ص ١٢٩ .

^٤ حسام حسين علي ، الفضاءات الحضرية حول المراكب المقدسة في المدن العربية الإسلامية ، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم الهندسة المعمارية بالجامعة التكنولوجية ، ١٩٨٩ ، ص ٩ .

فرضت تصميمه ، بيئة المدينة العربية الاسلامية كان ضروريا لتكامل الوظيفة بين فضاءات المسكن ، وبين عناصر البيئة الطبيعية ، من هواء وضوء . ترتبط فضاءات الطابق الارضي بالطابق الاول ، بعنصر ارتباط عامودي (السلام) لتساهم شرفات الطابق العلوي ، بزيادة مساحة الضلال التي يخلقها الشكل المستطيل للفناء الوسطي ، وتوجيه ضلعه الطويل نحو الشمال - الجنوب ، مما يقلل مساحة اشعة الشمس الساقطة لاطول فترة خلال النهار ، فضلا عن تطيب وترطيب المناخ الداخلي ، بوجود نافورة الماء الموجودة في اغلبها ، والتي غالبا ما تكون ذات شكل مثنى او مربع او دائري ، حيث تنعكس صورة السماء على وجه الماء ، وتقلل من جفاف المناخ بزيادة درجة الرطوبة وبفعل البخار الناجم عن حركة الماء فيها ، فضلا عن وجود بعض الشجيرات الخضراء في داخل الفناء ، وما يمكن ان تضيفه من عناصر بيئية ، وجمالية ، تحتاجها بيئة المدن التقليدية التي تشكو من انعدام الفضاءات الخضراء وفضاءات اللهو والتسلية الاخرى .

٢-٢-٢ المدخل المنكسر

من اهم الفضاءات التي تم التركيز عليها في الخصائص العمرانية للبيت التقليدي ، هو مدخله الرئيس ، الذي يستجيب للتقاليد والقيم السائدة، ومبدأ الشرفية فلا تجد مدخلا يطل على الفناء الداخلي مباشرة بل في معظم البيوت مدخلا منكسرا ، يمر بفضائين آخرين ، هو (الرحبه) (Entrance) و (الردهة) (Hall) حتى يصل الى الفناء (patio) كيما يحقق هدف الشرفية الذي يحول دون ان يرى عابر السبيل ما في داخل المسكن^(١) .

وغالبا ما يقع البيت على محور يتعامد مع الفناء الداخلي ، حيث يضطر الداخل الى البيت الى تغيير حركته بدرجة تصل الى درجة التعامد، ليطل على الساحة الداخلية المكشوفة ، ومن ثم تبدأ حركته باتجاه الفضاءات المختلفة الاخرى .

ان حركة المدخل ، وتصميمه بهذا الشكل المنكسر ، له ميزة بيئية مباشرة فهو لا يسمح بدخول تيارات الهواء الحارة والجافة بالدخول مباشرة الى الفناء الداخلي والمرافق المرتبطة به ، او ما تحمله من اتربه وغبار فضلا عن تقليلها من تأثير الضوضاء القادمة من الزقاق او الشارع .

وفي مدخل البيوت ، وعلى ابواب معظمها هناك (دكتان) صغيرتان او ثلاث دكات صغيرة ، او على شكل مصطبة مرتفعة بعض الشيء عن الطريق ، ملاصقة للباب ، شكلها بين المستطيل ونصف الدائري والمربع، تستخدم لجلوس

^١ د. سلوى احمد ، الاسكان والسكان والبيئة ، دار البيان ١٩٨٦ ص ٥٣

سكان البيت او الجيران لقضاء وقت السمر في فراغهم ، ولمنع دخول الإمطار في أحيان أخرى .

٢-٢-٣ الفضاءات العامة والفضاءات الخاصة

اشتمل البيت التقليدي على انواع اخرى من الفضاءات ، تسمى بالفضاءات العامة ، وهي غرف الضيوف ، بحكم مبدا العزل القائم بين الاناث والذكور ، والفضاءات الخاصة ، وهي فضاءات العائلة المختلفة، فبعضها مغلقة وتشمل غرف النوم ، واخرى نصف مغلقة والاخرى مفتوحة ، وتحيط هذه الفضاءات ببناء البيت ، وبعضها يطل عليه مباشرة ، ويختلف شكل وحجم هذه الفضاءات وفقا لمتطلبات الساكنين ، والحاجة في استخدامها. أن تصميم هذه الفضاءات قد تكيف لعامل أخر ، هو عامل المناخ ، بحيث يتناسب مع حركة الشمس الظاهرة ، وذلك ان بعض الغرف يتحدد استخدامها حسب اوقات النهار ، او حسب فصول السنة ، تبعاً للطاقة الجو ، وللحماية من الشمس .

٢-٢-٤ الملاقف (البادكيرات)

توجد الملاقف الهوائية (البادكيرات) في معظم المساكن التقليدية وهي عبارة عن انفاق عمودية ذات فتحات علوية موجهه عكس اتجاه الرياح السائدة لتجذب الهواء النقي ، وتعمل على تهوية فضاءات المسكن وتلطيف اجوائه . وقد توجد بعض الملاقف الهوائية ذات فتحات علوية متعددة الاتجاهات تسمى (الابراج الهوائية) .

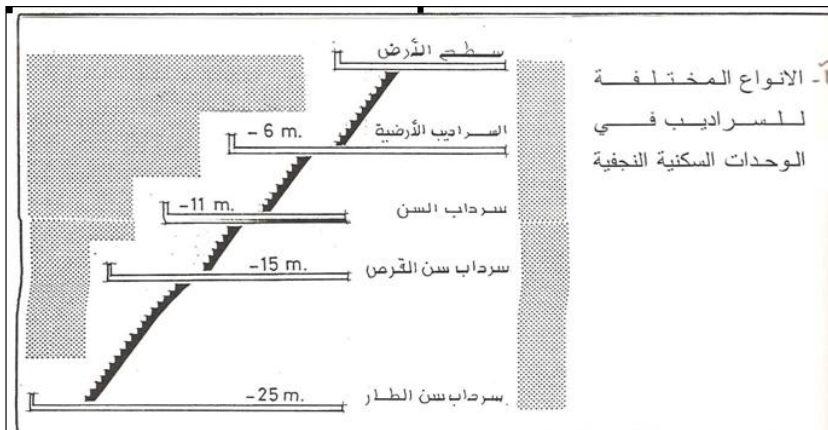
ان وجود هذا النوع من المعالجات المناخية ساهم في مواجهه ظروف المناخ الحاد في المدينة العربية الاسلامية ، وتحويل تيارات الهواء المتحركة فيه وتبريدها عند اندفاعها نحو الاسفل وتماسها مع الجدران الداخلية للملاقف الهوائية التي تكون باردة بسبب الظل، وعدم تعرضها المباشر للحرارة واشعة الشمس .

٢-٢-٥ الغرف التحتية (السراديب)

دفعت طبيعة الظروف المناخية السائدة الى تشييد هذا النوع من الفضاءات التي تنفرد بها المدن التقليدية، والذي يعد من الملامح المميزة للوحدات السكنية في بعض هذه المدن . (الشكل ٤)

وتتميز الغرف التحتية (السراديب) بهيكلها الانشائي السميك وعمقها نحو باطن الارض وبعدها عن اشعة الشمس والرطوبة العامة ولكونها محاطة بالتربة من جميع جوانبها ومن اسفلها يجعل من عملية انتقال الحرارة اليها امرا صعبا وبطيئا فيخلق جواً عاماً تتوافر فيه البرودة والطاقة ، يساعد على التخفيف من حرارة فصل الصيف وقضاء اوقات القيلولة بشكل مريح لسكان المنزل .

وبفضل تلك الاجواء الباردة التي يوفرها السرداب ، فانه يستخدم كذلك لخرن المؤن والحاجيات الفائضة عن الاستعمال في فصل الشتاء .
والسردايب ، على انواع عديدة من حيث العمق ، فبعضها مؤلف من طابق واحد وبعضها من طابقين او من ثلاثة طوابق ، ويتراوح عمقها ما بين (٦-١٥م) واحيانا يصل الى (٢٥م) ويبلغ متوسط مساحة السرداب الواحد منها (٧م) (الشكل) وقد يكون امتداد هذه السردايب الى ما تحت الابنية المجاورة لها ، وتبلغ نسبة المساكن التي تحتوي على السردايب في مدينة النجف الاشرف على سبيل المثال ٨٦% من مجموع مساكن المدينة القديمة حتى عام ١٩٧٣^(١) .
وبالرغم من اهمية هذا النوع من الفضاءات بالنسبة للمدن التقليدية الا ان ظاهرة السردايب واحدة من الاسباب التي ادت الى خلق الكثير من المعوقات التي تحول دون توفير شبكة خدمات كفوءة في المدينة^(٢)



٦-٢-٢ طوابق البيت التقليدي

ان معظم المساكن في المدينة العربية الاسلامية ، مؤلفة من طابقين ، وبعضها من ثلاثة طوابق . ويعود هذا النمط من التصنيف الى الاسباب الاتية :-
١ . طبيعة النسيج العضوي (المتظام) ذي الكثافة السكانية العالية ، والتي تصل في بعض المدن التقليدية الى ٦٧٥ / شخص / هكتار ، كما في مدينة النجف الاشرف

^١ محسن عبد الصاحب المطفر (مدينة النجف الكبرى) رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب جامعة بغداد ١٩٧٥ ص ٥٥ .

^٢ ماجد مطر عبد الكريم مصدر سابق ص ١٠٤ .

٢. القياس المناسب لمجموع العوامل التصميمية ، وخاصة العامل البيئي ، اذ يؤدي ارتفاع البناء الى حصر كميات من الهواء داخل الفناء الوسطي المكشوف والمحافظة على درجات حرارته دون التأثير السريع بتبدلات الطقس الخارجية ، فضلا عن تعرضه لاشعة الشمس ، لوقت معين خلال اليوم .
٣. غالبا ما كان ارتفاع طابق البناء الواحد ، يزيد عن ثلاثة امتار ، وهذا الارتفاع لمجموع الطابقين او الثلاثة ، يحقق مفهوم الخصوصية والشرفية .
٤. ان مواد البناء المستخدمة ، وهي المواد المتاحة في المدينة كالجص والحجارة وغيرها ، من المواد التي لا تمتلك خواص المقاومة ، وتحمل الاثقال العالية ، كانت مناسبة وملائمة لتشديد طابقين للمنزل الواحد .

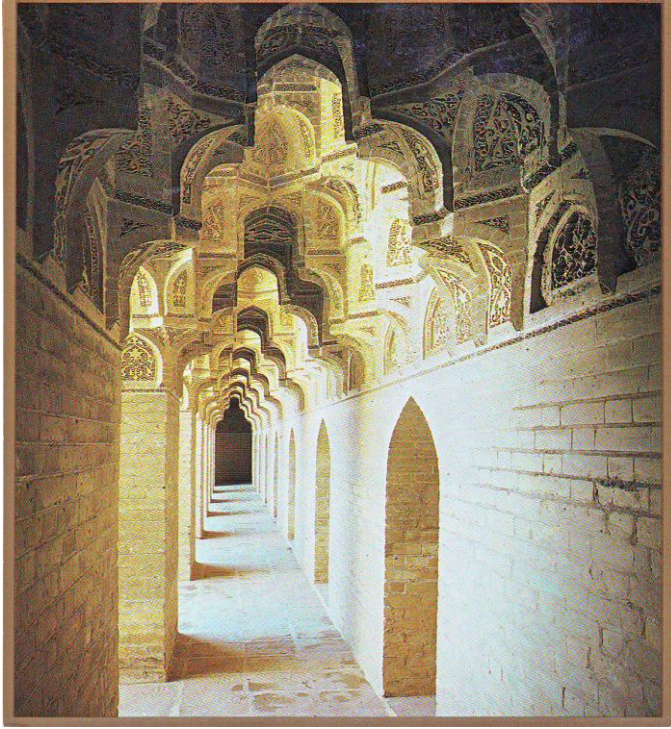
٢-٧- الأروقة والايوان

ان فضاء الرواق ، عادة ما يكون في مقدمة الإيوان والغرف الداخلية في الطابق الأرضي ، وهو عبارة عن ممر مكشوف الوجه وسقفه معقود إلى الأعلى بمجموعة من العقود . والرواق في الغالب اما يحيط بصحن المسكن من جميع جهاته ، او يطل على جانب واحد او جانبيين منه . كما في الشكل (٤).

ان المدى الحراري اليومي ، والمدى السنوي ، الكبيرين ، في معظم البيئات العربية والإسلامية ، قد دفع الى استخدام هذا النوع من الفضاءات لتوفير مساحات من الضلال تحيط بصحن المسكن لتخفيف حرارة الشمس في الصيف الحار ، ولسهولة السير والتنقل فيها ، فضلا عن الحاجة لاستخدامها للتنقل تحتها ، وقاية من الامطار في فصل الشتاء .^(١)

اما الايوان فهو الاخر يطل على الفناء الداخلي للمسكن بصورة مباشرة ، وهو بناء له ثلاثة جدران يعلوه طاق كبير ، وسقف مكشوف من واجهته الأمامية ، مرتفع عن مستوى أرضية الفناء ، ويستخدم الإيوان أيضا لتسهيل حركة التنقل من مكان إلى آخر ، مضافا الى قضاء وقت القيلولة في ضلالها خلال فترة الظهيرة .

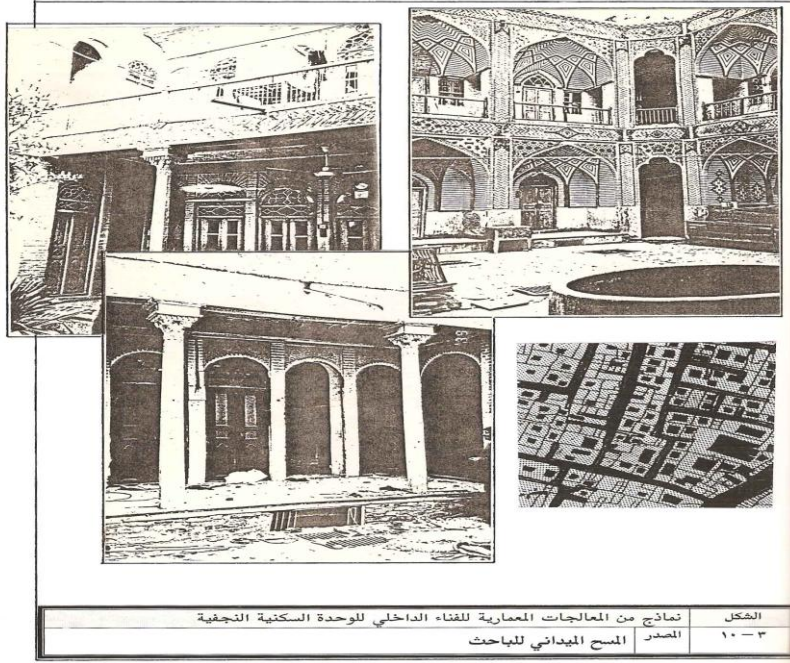
^١ فريال مصطفى ، البيت العربي في العراق في العصر الاسلامي ، وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٧ ، ص ١٢١



رواق القصر العباسي، المصدر، الهيئة العامة للآثار

٨-٢-٢ المعالجات المعمارية والجمالية

اتسمت المعالجات المعمارية الخارجية للمسكن التقليدي ، ببساطتها ، تأكيدا لمفاهيم الدين الاسلامي التي تشدد على المساوات وعدم التمييز بين الناس على اساس الغنى والفقر او التركيب الطبقي ، في حين كان الاهتمام بالمعالجات المعمارية للفضاءات المطللة على الفناء الداخلي ، لتأكيد اهميته في خلق البيئة المريحة ، اذ لا يتوفر فضاء غيره ، يحقق مثل هذه الظروف الملائمة . ولتحقيق التكامل الوظيفي لفضاءات المسكن ، في ما يتعلق بانسياب الضوء والهواء والاشكال الهندسية الجمالية ، فقد كانت هناك فتحات في واجهة البناء المطل على فناء المسكن ، او من خلال الايوان او فجوات على الشبائيك ، وتخريعات محفورة على الخشب ، تفيد لاغراض الانارة واعطاء انعكاسات جمالية ، فضلا عن الابداع الذي يتحكم بالاشكال البنائية .



١٠-٢-٢ الشناشيل

لما كان ارتباط تصميم البيت التقليدي وفضاءاته بمتطلبات المناخ السائد في المدينة العربية الإسلامية، ومبادئ الخصوصية والشرفية وقديسية المسكن، فقد انعدمت أو تقلصت إلى حد كبير النوافذ والفتحات الخارجية في الطابق الأرضي، عدا فتحة الباب الرئيسي، للسماح بأقل ما يمكن من تسرب أشعة الشمس، وتركزت الفتحات في الطابق العلوي، بعيداً عن مرأى العين، وكانت معالجاتها المعمارية ذات أسلوب جمالي وعقلاني بديع، فضلاً عن كونه معالجة مناخية، فقد حقق مبدأ الخصوصية والشرفية عندما تمت تغطية الفتحات في هذا الطابق بالشناشيل، وهي حجاب يزيد من مساحة الظل، ويقوم بترشيح أشعة الشمس ونشتيتها، وتحديد الكمية النافذة منها، بحيث تكون مخففة وهادئة. كما في الشكل (٧)

١٠-٢-٢ الآبار والبالوعات

لغرض تأمين الماء الذي يحتاجه سكان المدن التقليدية، فقد لجأوا إلى حفر آبار لهم، تتصل بالقبوات التي تأتي بالمياه من الأنهار التي تمر بالمدينة، فيفتح السكان منافذ من هذه الآبار إلى السرايب وتستخرج المياه بواسطة الحبل والدلاء، وتوضع في أحواض صممت في وسط المساكن. وفي المدن التقليدية هناك نوعان من الآبار هما:

١. ابار تبعية ، يبلغ عمق الواحد منها ٦٠ متر ، ومعدل قطرها ١,٥ متر ، تنبع من (النزير) .
٢. ابار عباسية ، وهي ابار مستطرفة ، يبلغ عمق الواحد منها ٤٠ مترا ومعدل قطرها ٢,٥ مترا، وما زال قسم منها موجود في بعض مساكن النجف القديمة الى الوقت الحاضر . اما البالوعات فان اغلب البيوت تحتوي على بالوعتين عميقتين ، واحدة لغرض تصريف مياه الغسل ، والأخرى ترتبط بالكنيف^(١) .

٢-١١ المؤشرات العمرانية لتطور نمط البيت التقليدي

ان المراحل التاريخية التي مر بها النسيج العمراني للمدينة العربية الإسلامية تركت بصماتها وأثارها على نمط المسكن، ذلك ان البيت نتاج حضاري متطور للفكر التخطيطي .

ومن خلال دراسة المؤشرات التخطيطية والعمرانية للبيت التقليدي في عدد من المدن العربية والإسلامية كتونس والبصرة والكاظمية وغيرها ، خاصة في ما يتعلق بمنطقة الدراسة الميدانية التي شملت بشكل خاص مركز مدينة النجف القديمة ، يجد البحث ان هناك أربع مراحل مر بها نمط البيت التقليدي ويمكن إيجازها بما يأتي :-

أ. المرحلة الاولى:-

تمتد هذه المرحلة ، منذ النشأة الاولى لبناء المسكن في المدن التقليدية حتى بدايات القرن العشرين ، والتي تميز فيها نمط السكن بالمؤشرات الاتية:-

١. انعكاس قيم الشريعة الاسلامية التي نظمت العلاقة بين الانسان وخالقه ، وحددت العلاقة بين الانسان واخيه الانسان ، لتحقيق التماسك الاجتماعي والأسرة ، فضلا عن تأثير عوامل البيئة الطبيعية على شكل ونمط المسكن الذي كان ينظر الى الداخل لتحقيق اكبر حجم داخلي ، بأقل أوجه خارجية ، اذ ساعد هذا التكوين على تقليل السطوح المعرضة للإشعاع الشمسي المباشر على اقل ما يمكن مع توفير اكبر قدر ممكن من الضلال، بما يؤدي الى تقليل الطاقة الحرارية النافذة الى المباني.
٢. ارتباط فناء المسكن الداخلي والفضاء الخارجي (الشارع او الزقاق) ارتباطا غير مباشر ، الفضاءات حول الفناء الداخلي الذي يمثل العنصر المسيطر في تكوين التنظيم الداخلي للفضاءات في المسكن ، من حيث الشكل والموقع ،

١. د. حيدر عبد الرزاق كمونة، مصدر سابق ص ٢٣ .

- متناسبا مع توجيه الفضاءات الداخلية والأسلوب التي تتوزع به ، فضلا عن كونه يعمل كمنظم حراري فعال للفضاءات التي حوله .
- ٣ . قلة الفتحات الخارجية او انعدامها في الطابق الأرضي ، وتغطية فتحات الطابق العلوي بالشناشيل والمشربيات .
- ٤ . بساطة المعالجات المعمارية الخاصة التي كان يهملها نمط الحيات السكنية ، والتركيز والاهتمام بمعالجات الفناء الداخلي ، لخلق بيئة مريحة ، لتوفير أسباب الراحة المناخية والنفسية .
- ٥ . استخدمت في بناء مساكن هذه المرحلة ، مواد البناء العادية المتاحة كالحصى والحجارة والطين المفخور ، الا انها وظفت بأشكال تعبيرية معمارية متميزة ومؤثرة في التكوين الفضائي كأنواع العقود والأروقة ونحت التجاويف والحنايا في الجدران السميكة للمسكن ، واغناء الفضاءات الداخلية بالمعالجات الزخرفية الابدعية .
- ٦ . وجود الملاقة الهوائية (البادكيرات) التي تساهم في تكييف الظروف المناخية والتي تجذب الهواء النقي وتعمل على تلطيف وتهوية فضاءات المسكن .
- ٧ . كانت الغرف التحتية (السراديب) من ابرز الملامح المميزة للوحدات السكنية التقليدية في عدد غير قليل من المدن العربية الاسلامية .
- ٨ . وجود عدد من الابار العميقة والبالوعات في معظم المساكن .

ب . المرحلة الثانية :-

تمتد هذه المرحلة من بدايات القرن العشرين حتى منتصف القرن نفسه في هذه المرحلة ، وبعد ان اتسعت المدن العربية الاسلامية وازداد عدد سكانها تحيط بفعل النمو الطبيعي وهجرة ابناء القرى المجاورة، وبعد ان تخطي بعضها الاسوار التي كانت تحيط بتلك المدن اخذ نمط السكن يتغير تدريجيا نحو النمط العضوي (الشبكي) المتداخل، وقد صممت المساكن على شكل خطوط مستقيمة الشكل في اغلبها ، وقد حاول المسكن في هذه المرحلة ان يحافظ على توجهه نحو الداخل مع ملامح بسيطة باتجاه الخروج والنزوع نحو الخارج .

ج . المرحلة الثالثة :-

تمتد هذه المرحلة من خمسينات القرن العشرين الى نهاية السبعينات منه ، استمر البيت التقليدي في الخروج التدريجي عن النمط العضوي مع استمرار محاولة الحفاظ على خصوصيته ، مع الميل للانفتاح والتأثر بالمفاهيم الحضارية الغربية وقد عكس نمط السكن ، درجة من الانفتاح الى الخارج ، مع بقاء التركيز على الداخل واصبحت هناك حالة من التزاوج والموائمة بين الانفتاح الى الخارج والانغلاق نحو الداخل ، وبقي الفناء الوسطي في هذه المرحلة ، المحور المهم

للفعاليات ، الا انه في بعض المساكن لم يعد مفتوحا باتجاه السماء ، وانما تم تسقيفه . كما تغير (المدخل المنكسر) في بيوت اخرى بفعل تحويل مفصل العلاقة السابقة بين الداخل والخارج (المدخل المباشر) الذي اضطر العائلة الى وضع (ستارة) خلف باب المدخل، لتحقيق الخصوصية ، سيما في المدن التقليدية في العراق ، كالنجف والبصرة والكوفة وغيرها ، فضلا عن ان المنافذ البصرية الجديدة في نمط مساكن هذه المرحلة قد عبرت عن وجود علاقة بصرية بين الداخل والخارج .

د . المرحلة الرابعة :-

تمتد هذه المرحلة منذ نهاية السبعينات من القرن الماضي حتى الان ، وبسبب التطورات الاقتصادية في العالم ، وتوسيع المدن العربية الاسلامية لاستيعاب الزيادات الهائلة في عدد السكان ، ونتيجة لشق الشوارع المستقيمة ومشاريع التطوير وطغيان الاستعمال التجاري على الاستعمالات الاخرى ، والذي ادى الى تهديم الكثير من اجزاء النسيج التقليدي في مراكز المدن القديمة الضعيف والمتهرئ بسبب رداءة المواد المستخدمة في بنائه فضلا عن دخول (السيارة) كعنصر اساس ومؤثر في تصميم المسكن ادى الى ظهور نوع جديد من انواع المساكن ، يحيط بها فناء خارجي من جميع جوانبها (الحديقة) مع ازدياد المنافذ البصرية من خلال الابواب والشبابيك التي ازادت مساحتها ، فضلا عن ابتعاد كتلة البيت عن الزقاق وفصلها بالحديقة الامامية كما دخل متغير اخر من الفضاءات على هذا النمط ، غرف الطعام المرتبطة بغرف النوم مع ازدياد اهمية المطبخ الذي اخذ موقعا اكثر اهمية في فضاء المسكن وزادت مساحته ، واهتم تصميم المسكن بمراب السيارة اذ ارتبط فضاؤه مع فضاء المطبخ .

لقد تنوعت أنماط السكن في المدينة التقليدية ، حيث ضمت عددا من الطرز (Styles) التي فرضتها التطورات الاقتصادية والحضارية للمجتمع والتي دفعت تصميم البيت إلى النزوح القوي نحو الخارج والتأثر بالفكر التخطيطي الغربي الذي أفضى إلى وجود عدد من الأنماط المعمارية لمساكن (متغربة) في نسيج عمراني لمدينة عربية إسلامية تقليدية ، ويمكن من كل ذلك إن يستنتج البحث من خلال مراحل تطور نمط المسكن التقليدي إن هناك ثلاثة أنماط للسكن هي :

- ١ . النمط العضوي التقليدي (المتراص) وهو ما يزال قائما حتى الوقت الحاضر في عدد من المدن التقليدية ، وخاصة في مدينة النجف القديمة ، والذي تمثله مساكن المرحلة الأولى ، وقسم من مساكن المرحلة الثانية .
- ٢ . اما النمط الثاني فهو النمط العضوي ، (الشبكي) المتداخل الذي يزوج بين المعاني ويجمع بين التوجه إلى الداخل ، والنزوح الى الخارج أي يجمع بين (الداخل والخارج) . والذي استبدل الفناء الوسطي المفتوح بالفناء المغلق.

- والذي يمكن ان نسميه النمط الهجين . ان هذا النمط تمثل في مساكن جزء من المرحلة الثانية والمرحلة الثالثة .
- ٣ . النمط الذي تجسد فيه ، توجه البيت بشكل قوي نحو الخارج وافصح عن هذا بشكل واضح ، وهو البيت (المتغرب) ، ويمثل هذا النمط عددا من مساكن المرحلة الرابعة .

الاستنتاجات:

- ١ . ان النمط التقليدي للنسيج السكني ، كان انعكاسا لتاثير قيم الشريعة الاسلامية والحضارة العربية ومتطلبات البيئة المناخية ، وهو يتركز في مراكز المدن القديمة .
- ٢ . خاصية الانفتاح على الداخل ، وارتكاز الوحدة السكنية على فكرة الفناء الداخلي المكشوف ، الذي تتمحور حوله معظم الفضاءات الداخلية ، تأكيدا لمفهوم الخصوصية والتفاعل مع الظروف المناخية .
- ٣ . ان مدخل البيت غير المباشر (المدخل المنكسر) ، يعد من اهم الفضاءات والخصائص العمرانية ، كونه يستجيب لمبدأ الشرفية ، والتقاليد والقيم السائدة .
- ٤ . انعدام او تقلص النوافذ والفتحات الخارجية في الطابق الأرضي ، عدا فتحة الباب الرئيسي ، للسماح بأقل ما يمكن من تسرب أشعة الشمس، وتركزها في الطابق العلوي بعيدا عن مرأى العين .
- ٥ . يشتمل البيت التقليدي على نوعين من الفضاءات ، الفضاءات العامة وهي غرف الضيوف . والفضاءات الخاصة ، وهي غرف العائلة ، بحكم مبدا العزل القائم على الفصل بين الذكور والاناث .
- ٦ . بساطة المعالجات المعمارية الخارجية ، انسجاما مع مفاهيم الدين الاسلامي ، التي تؤكد على البساطة والمساوات وعدم التمييز بين الناس على اساس الغنى والفقر او على اساس التركيب الطبقي والمستوى الاجتماعي ، في حين تركز الاهتمام بالمعالجات المعمارية للفضاءات المطلة على الفناء الداخلي ، لخلق الاجواء والبيئة المريحة للعائلة ، اذ لا يتوفر فضاء غيره يمكن ان يحقق ذلك .
- ٧ . ان المناطق السكنية في المدينة التقليدية تتشكل من مجموعة من الوحدات السكنية ، ذات شكل خلوي متراص ، مكونة المتجاورات السكنية والتي تتجمع بدورها لتكون المجموعة السكنية او النطاق السكني .
- ٨ . ان طبيعة المواد الإنشائية المستخدمة اصلا في بناء الوحدات السكنية ، هي المواد البسيطة المتاحة في المدن التقليدية ، كالجص والطين المفخور والحجر .
- ٩ . كانت سببا في ما اصاب النسيج السكني من ضعف وتهرؤ وتآكل ، وعدم القدرة على مقاومة الزمن طويلا فضلا عن ضعف الصيانة .

١٠. وبسبب الأسوار التي كانت تحيط ببعض المدن لاغراض الحماية والأمان ، جعلت كثافة الاستخدام والإشغال عالية في المسكن التقليدي خلال مراحلہ المختلفة .
١١. كانت السرايب او الغرف التحتية من ابرز الملامح المميزة للوحدات السكنية التي اتسمت بهيكلها الانشائي السميك ، وعمقها نحو باطن الارض ، وبعدها عن اشعة الشمس لتحقيق وظيفتها البيئية في المدن الحارة والجافة .
١٢. ان وجود الابار والبالوعات العميقة في معظم المساكن التقليدية ، والتي قامت بوظائفها الخدمية والبيئية في المراحل السابقة ، قد انتهت او اضمحلت وظائفها تلك ، وبدئت تعرض المدن التقليدية الى مشاكل فنية تعترض البنى التحتية المعاصرة ، مما يستلزم معالجات ودراسات تخطيطية ناجحة لها .
١٣. ان وجود الملاقف الهوائية (البادكيرات) الموجودة في عدد كبير من المساكن التقليدية قد كانت وظيفتها البيئية بمثابة مايكرو مناخ ملائم في الابنية ، وفي مناخ بيئة شبه صحراوية ، من خلال قيامها بنقل تيارات الهواء المتحركة لغرض تلطيف الاجواء الحارة .
١٤. من خلال تحديد البحث لاربعة مراحل زمنية ، تطور خلالها نمط وشكل البيت التقليدي ، فانه استنتج ان هناك ثلاثة انماط من السكن شهدتها المدن التقليدية هي :-
١٥. النمط العضوي التقليدي والذي ما يزال قائما حتى الوقت الحاضر
١٦. النمط العضوي (الشبكي) المتداخل (الهجين) الذي يجمع بين التوجة الى الداخل والنزوع الى الخارج ، والذي استبدل فيه الفناء الوسطي المكشوف الى السماء بالفناء المركزي المغلق .
١٧. نمط البيت (المتغرب) ، وهو النمط الذي يتوجه وبشكل قوي وواضح .
١٨. كانت المفاهيم الغربية المقتبسة ، واضحة في التصميم العمراني المعاصر في المناطق التقليدية حيث تم اقامها ضمن البنية النسيجية للمدينة التقليدية .
١٩. ان دخول السيارة في العقود اللاحقة من الزمن كوسيلة من وسائل النقل ، ادى الى تغيير فضاءات الوحدة السكنية التقليدية ، وكذلك تغير نمط الحركة .
٢٠. من الممكن تطوير الانماط السكنية التقليدية لاستيعاب التطورات الحضارية والاقتصادية والاجتماعية ، اذا ما توفرت الرؤية التخطيطية السليمة التي تجمع بين الاصالة والمعاصرة في تصميم الوحدة السكنية .

المراجع العربية

١. احمد ، د. سلوى " الاسكان والمسكن والبيئة " دار البيان ، ١٩٨٦ .
٢. احمد ، د. محمد شهاب ، د. مؤمل علاء الدين " المتطلبات الفضائية لتخطيط المدينة " مطبعة التعليم العالي ، ١٩٩٠ .
٣. الاشعب ، د. خالص حسني ، د. صباح محمود محمد " مورفولوجية المدينة " ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨٣ .
٤. الجابري ، د. مظفر علي " التخطيط الحضري ج ١ مدخل عام " مطابع دار الكتب جامعة الموصل ١٩٨٦ .
٥. الحسني ، د. فاضل ، مهدي الصحاف ، أساسيات علم المناخ التطبيقي ، جامعة بغداد ، ١٩٩٠ .
٦. حماس ، د. خليل ، كتاب اللغة الانكليزية للصف الثالث المتوسط ، وزارة التربية ، ط ٢٣ ، ٢٠٠٧ .
٧. زيدان ، دينا إميل " الفضاءات السالبة في العمارة " رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الهندسة المعمارية الجامعة التكنولوجية ، ١٩٩٢ .
٨. الشرقي ، موسوعة الشيخ علي " الاحلام " القسم الرابع ، مطبعة العمال المركزية ، بغداد ١٩٩١ .
٩. عبد الكريم ، ماجد مطر " العوامل المؤثرة في تغيير النسيج الحضري للمدينة " أطروحة دكتوراه مقدمة الى مركز التخطيط الحضري والتقديمي جامعة بغداد ، ١٩٩٩ .
١٠. علي ، حسام حسين " الفضاءات الحضرية حول المراقد المقدسة في المدن العربية الاسلامية " رسالة ماجستير مقدمة الى قسم الهندسة المعمارية ، الجامعة التكنول.
١١. كمونة ، د. حيدر عبد الرزاق " الهيكل الحضري لمدينة النجف القديمة " بحث منشور في مجلة افاق نجفية العدد ١٠ / ٢٠٠٨ .
١٢. مصطفى ، فريال " البيت العربي في العراق في العصر الاسلامي " وزارة الثقافة والاعلام ١٩٨٧ .
١٣. المظفر ، محسن عبد الصاحب " مدينة النجف الكبرى " رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٧٥ .
١٤. مكي ، محمد علي ، " اطلس العالم الصحيح " دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٨ .
١٥. هيكل . حامد تركي " تغيير النسيج الحضري لمدينة البصرة في القرن العشرين " رسالة ماجستير الى مركز التخطيط الحضري والاقليمي للدراسات العليا ، جامعة بغداد ١٩٩٧ .

المصادر الأجنبية

1. GALLIOM , A.B, EISNER , "The urpar pattern (4th.ed) Goyal press Delhi (Ikddia) 1984.